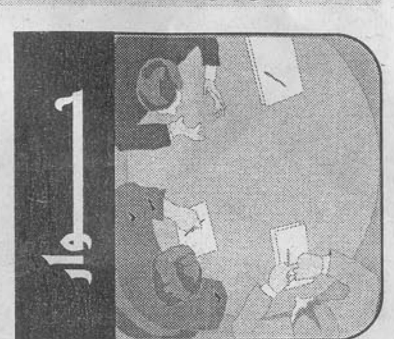


الدكتور المهدي المنجرة في أول حوار له بعد المنع الخامس

سأمنح نفسي قسطا من الراحة الخلقية، و بعدها أقرر ما سأفعله مستقبلا.



عبر الدكتور المهدي المنجرة عن أسفه الشديد بعد المنع الخامس الذي طاله بمدينة الدار البيضاء و تساءل عن مبرراته و كذا عن الجهة التي أصدرت القرار مستغربا في الآن نفسه كيف يسمح لأمريكي جاء ضيفا على الدولة المغربية بمهاجمة بلده و النيل من معاهدة التبادل الحر، فيما يصادر ابن البلد مع أنه لم يتكلم بعد، و أوضح الدكتور المنجرة، أن مرحلة ما بعد الإستعمار التي تحدث عنها سنة 1990، قد بدأت تتجلى آثارها اليوم، و أصبح العالم كله يخضع لمنطق القطب الواحد، حيث يصبح العالم كله تحت رحمة أمريكا، و عن تداعيات المنع الأخير قال المهدي أن ردود الفعل كانت كلها تندد بما حصل و وصل الأمر إلى حد تناقله من قبل الفضائيات العربية و وكالات الأنباء العالمية.

و من جهة أخرى فإنه بصدد أتخاذ الخطوات اللازمة لحفظ كرامته، و أول خطوة حسب قوله هي أخذ راحة خلقية معتبرا أن مأساة المغرب تتجلى في كونه يعيش أزمة خلقية.

كيف تلقيتم قرار منع محاضرة الدار البيضاء يوم 20 فبراير 2004 ؟

الأمر يهم اولا جريدة منبر الشباب، منظمة الندوة، وقد قبلت المشاركة فيها، و بالتالي فالخبر تلقيته من المسؤول عن الجريدة، وهو نفسه لم يكن لديه أي توضيح فيما يخص الأسباب، و قد تقبلته كنوع من "الشوكة" في الظهر، لأنه يعتبر المنع الخامس في بلدي، وأنا شخصيا لا أدري أسباب هذا المنع، وكمواطن مغربي أتساءل لمذا ؟ لأن الأمر لا يهم فقط قرار محلي اتخذ صدفة أو بصفة غير مقصودة، لأن هناك المرة الأولى والثانية وحتى الخامسة، وإذن كمواطن أريد معرفة مصدر القرار، وعلى أي مستوى ولدى من، و حتى إذا أراد الإنسان معالجة شيء ما فقط يعرف من أين يبدأ فلمعالجة أي مرض لا بد أن تعرف من أين تبدأ ؟ والسؤال الثاني هو لماذا، و صراحة ليس عندي جواب لا للسؤال الأول أو الثاني و أنتم قد يكون وصلكم خبرالمنع و في الحقيقة سبق أن تعرضت مرة للمنع بعين اللوح، وقيل لي أنذاك أنها مبادرة محلية من قبل القايد و بعدها وصل الأمر إلى الباشا وهكذا دواليك، والمهم، بالنسبة لي " أين الحرية، فأنا أتلقي كل مرة مثل هذه الصدمات مع أني الرئيس المؤسس لجمعية حقوق الإنسان وقد ناضلت وحاربت لتأسيس مبادئ حقوق الإنسان، و أنا أعتبر أن حقوق الإنسان نشأت منذ خلق الإنسان.

اين يتجلى ذلك ؟

يتجلى في ما سميته الخوف قراطية، فحين يدخل الخوف في نفوس فئة من المثقفين، يصبح خطرا، وهو اكثر من منع فلان وفلان وهذا الخوف يصيب أشخاصا تولوا مسؤوليات سواء داخل الحكومة أو غيرها، ويخشون أي موقف قد يؤثر على موقفهم الحالي.

وهم مناضلون بالدرجة الأولى ؟

كانوا مناضلين، أما الآن فهم مناضلين في نوع من الإنتهازية، والغريب في ذلك وأنتم عاينتم ذلك، ردود الفعل من ناحية الصحافة، وحين يقولون أنهم يخشون أن أتحدث عن أمريكا، وأنا أول طالب مغربي في أمريكا، وأول خريج جامعة أمريكية وأول من أخد دكتوراه في اللغة الإنجليزية، وهذا لا يعني أنني أبايع الولايات المتحدة، ولكنني أقول أن علاقتي على المستوى الثقافي والفني والحضاري حاضرة، وهناك مئات الأمريكيين وبينهم وزراء مثل الوزير رمزي كلارك وهو وزير عدل وكان أول من أعطيته جائزة "حوار التواصل" لديهم مواقف ضد حكومتهم وينهون عن المنكر، و إذا يجب أن نفهم أنه ليس كل مرة تحدث عن أمريكا فقد فعلت منكرا، أو حين تنتقد الإدارة الأمريكية فأنت تمس بالشعب ككل، وكل مرة تتحدث عن بلادك أو حكومتك فأنت ضدها، وهذا الإختزال هو أكثر المؤشرات على ما هو التخلف.

إذن منع محاضرة الدار البيضاء مرتبط بموضوع أمريكا ؟

هذا الكلام هو ما وصلني عن طريقكم، والأمر له جدور، وقد توضحت الأمور منذ التسعينات، و بعد أن انتهى حائط برلين وأصبح هناك قطب واحدوأصبحنا أمام سائق واحد للعالم، وحتى الفضاء، فتغيرت معادلة في العلاقات الدولية، والعالم الثالث الضعيف الذي كان يجد الحماية في نظام القطبين وجد نفسه بدون حماية، وأمام غول واحد وفي هذه الفترة بدأت ما سميتها مرحلة ما بعد الإستعمار وقد نشرت مقالا عن ذلك في مجلة Futirible في أكتوبر ١٩٩٠، وما أؤكده اليوم أن الحروب العالمية أصبحت عبارة عن كلمات واستعمال الألفاظ والعبارات، فالامريكيون حين استعملوا لفظة العولمة كان القصد هو "الأمركة" و آنداك كتبت أقول بضرورة أن يبقى لكلمة العولمة معناها العالمي، كما استعملت سنة ١٩٩٠ عبارة -onialisme Post colوفي العام الماضي صدر مقال في اليابان في عدة صحف، وتحدث فيه عن مفهوم جديد سميته الميغا أمبريالية، و هو أن الأشياء حين تصل إلى درجة قصوى فنحن لم نعد أمام استعمار أو ما بعد استعمار، ولكن نتحدث عن الإمبريالية، لأنه مرة نجد قطبا واحدا يملك السلطة على الكرة الأرضية بكاملها وأن تصبح الإمبريالية بدون حدود، وهذا ما جعلني أستعمل كلمة "ميغا" التي تعني العدد الكثير.

وأنا بالتالي كباحث وكمفكر فإن أكبر نجاح عندي هو حين تصير بعض العبارات تتداول في السياق العام في العالم بأسره، فحين تكلمت عن الخوفقراطية صرنا نجد الخوف كوسيلة للحكم و صدرت مقالات عن الخوف، ودور المفكر والباحث هو أنه باحث عن كل شيء، وخاصة في جانبه المعرفي، وهذا ما يجب أن نتعلمه في العالم العربي، أن الناس ليست كلها مهتمة بالوصول إلى المال وإلى الحكم، وأن لدينا باحثين لديهم نصيبهم في المعرفة والخلق والإبداع والذين حاولوا أن يظهروا موقفهم مما يحدث الآن على الصعيد العالمي.

و ما هي الآثار السلبية لذلك ؟

هجرة الأدمغة إلى الخارج، وكذلك أحسن الأقدام، لأنها لم تجد المجال للخلق والإبداع، وطيلة حياتي عشت لأدافع عن حقوق الإنسان، لكي نستغل هذه الكفاءات في التنمية وتطوير البلد.

أليس لهذا علاقة بالنظام المخزني ؟

ستجد ذلك في كتاب الإهانة الذي سيخرج عما قريب بالعربية، و فيه طرحت ما بعد الإستعمار وما بعد المخزن وما بعد الليبرالية، والشيء الاساسي فيما بعد الإستعمار أنه حين كنا نواجه الإستعمار، كان أمامنا عدو، وهناك شعب يقاوم محتلا، مثل ما نراه الآن في العراق وغيرها، ومع ذلك كان واضحا، والفرق بين الإستعمار وما بعد الإستعمار أصعب، وهذا الفرق أوضحه دائما بأمثال الشعب، وهنا لدينا مثال شعبي يقول "من زيتو قليه" وبالتالي لا تضيع وقتك، فمن قبل كان الإستعمار يحتاج إلى جيوش، أما ما بعد الإستعمار فإن الجيوش تصبح تحت تصرفك والمخابرات تتحرك هنا لتبادل المعلومات، وجميع الدول بما فيها العربية دخلت في اتفاقيات مع أمريكا لتبادل المعلومات، وكل هذا مرتبط بالإرهاب، الذي يؤدي إلى الخوف، ولو أن الأمر يتعلق بأشياء كاذبة مثل أسلحة الدمار الشامل وقد استغلت لمدة كخوف، ونأخذ كمثال بسيط ما يحصل بالأمم المتحدة التي تركتها في سنة ١٩٨٢ حين أحسست بالتغيير، وخاصة في الروح النضالية داخل العالم الثالث.

والدفاع عن الأفكار الأساسية مثل التعاون ما بين دول العالم الثالث، ولا ننسى أن قتل المهدي بنبركة كان سببه المؤتمر العالمي الثالث بكوبا، ولم أتصور في حياتي أن الذل والإهانة قد تصل إلى أقصى مستوياتها.

ولكي أفسر معنى "من زيتو قليه" أنه كان هناك فقيها بمكناس، وحين نفي محمد الخامس سنة 1953، وحين سمع بمجيء المقيم العام طلب رؤيته، و حين وقف أمامه قال له:" يمكن لكم الذهاب، لأنكم زرعتم بذورا، وسينبت جيل سيدافع عن مصالحكم أكثر منكم".

و هل هذا الجيل ظهر الآن ؟

الله أعلم، فذلك الرجل انتقل إلى رحمة الله، و لا يمكنني أن أنوب عنه، ومن هنا فهمت كلمة "من زيتو قليه" لأن الإستعمار الحقيقي هو الذي يرى أبعد ما يكون، و يهيء لنفسه الأرضية، فحين يفرغ من مكان يترك من يملئه ويحميه، وقد تحدث من قبل عن الأمم المتحدة سنوات الخمسينات والستينات والسبعينات واشتغلت مع العديد من الرموز وشاركت معهم في اجتماعات مثل "داك ها مرشوك"، سكانديانفي و يوطاند وآنداك كانت لهذه المؤسسة كرامتها ومصداقيتها، ولكن حين ترى ما يحدث اليوم تتفاجأ، فلم أتصور أن كاتبا

عاما من العالم الثالث ومن أمريكا اللاتينية وهو بيريزديكويلار يصبح آلة في يد أمريكا و يأتي بعده شخص أسوء منه وهو بطرس غالي من العالم العربي، ليدمر شعبا عربيا مثل العراق، وأن ياتي بعده غاني من بلاد نكروما و هو كوفي عنان و يصير أسوء من سابقيه، ولم أتصور أن مدير المنظمة الدولية للأسلحة النووية سيكون مصريا ويكون له دور في تدمير الشعب العراقي.

أي موقف ستتخدونه الآن ؟

سأحكي لك حكاية تاريخية وقعت للفقيه مولاي العربي العلوي، حين كان على عهد الجينرال سوفرين وهو المراقب المدني بفاس، وكان الجنود الفرنسيين قد وطأت أقدامهم بعض حرم القرويين فانقلبت المدينة رأسا على عقب و قد هددوا الفقيه وطالبوه بالتحرك لمنع أي ثورة، وقال آنداك، منذ خلقت حكم علي بالإعدام، ولكن وحده من أصدر ذلك الحكم يعرف متى وأين.

بالنسبة إلي سأظل على طريقي، خاصة وان التحديات ستزداد، وأنا الآن أحس بالإستعمار الثقافي أكثر من السابق، لأن الفرق بين الإنتهازي و المرتزق والإنسان الحر هو المستوى التعليمي . وهذا الحر أعني به الإنسان المستعد للتضحية. بكل شيء، فالكرامة لها ثمن ولأنه لا يمكن نسيان ما وقع فسآخد لحظة للتفكير لبضع شهور وسأمتنع عن المشاركة، ليس كرد فعل ضد السلطة ولكن كرد فعل ضد جزء من النخبة التي تقبل الإهانة.

وسآخذ مدة للراحة و للتفكير خاصة وأن الإهانة صارت بحرا للسلبيات و إذا كنا نتكلم عن الراحة البيولوجية للسمك الذي تعرض لغزوالبواخر الأجنبية، فانا كذلك سأحضى براحة خلقية، لاننا ببساطة نعيش أزمة خلقية.

ختاما

أشير فقط أنه حين منعت محاضرة الدار البيضاء، كانت الدولة المغربية تستضيف بعض أعضاء الكونغريس الأمريكي و كذلك العالم الأمريكي "ستيكليتز" الفائز بجائزة نوبل للسلام. و قد تكلم بجرأة كبيرة عن سلبيات معاهدة التبادل الحر و طالب بضرورة مواجهتها، و هنا أتساءل كيف يسمح لضيف الدولة المغربية بالحديث بكل هذه الشجاعة، و أمنع أنا رغم أنني لم أقل شيئا حتى الآن، سؤال أتمنى أن أجد له إجابة.